

من أصناف المشركين في الربوبية: القدرية.

- **الصنف الثالث** وهم: **(القدرية)** الذين شبَّههم أصحاب رسول الله ﷺ بالمجوس، وتبيّن معنا من خلال ما مضى أنّ أخبث أنواع الشرك على الإطلاق أن تؤمن بوجود إلهاً مع الله، أن تؤمن بأكثر من إله.

- وهذا الذي وقع مع القدرية ، وهم فرقة ظهرت في البصرة، في زمن أصحاب رسول الله ﷺ، قال: "وشرك القدريه مختصر من هذا"، مختصر من شرك الفلاسفة.

- وقال: "وباب يدخل منه إليه"، شرك القدرية باب يدخل منه إلى شرك الفلاسفة، حيث إنهم فتحوا باب أنّ أفعال المخلوقات ليست مخلوقة لله، الله لم يقدِّرها، فكأنّهم بلسان حالهم يقولون: هنالك خالق آخر غير الله، وهذا يلتقي مع ما قرَّره الفلاسفة، في أنّ الكون قد انبثق من العقل الفعّال الأول على الطريقة التي شرحناها.

العلم والعقل:

أصل الفساد في العقائد ليست في الإسلام فقط، وإنما في الأديان الأخرى إنما هو من الفلسفة، وهذا العقل الذي يغترُّ صاحبه به، وكل الفساد أن يعتمد المرء على عقله، وأن يستقل بعقله في معرفة الغيب، وهذا أمر مستحيل، دائما نركز، ونؤكد في تقرير أنّ العلم مقدَّم على العقل، العلم القائم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ مقدَّم على العقل، لذا قال الشاعر -رحمه الله-:

علم العليم وعقل العاقل اختلفا ... من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا
فالعلم قال أنا أحرزت غايته ... والعقل قال أنا الرحمن بي عرفا
فأومأ العلم إيماءً وقال له ... بأينا الرحمن في فرقاننا اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده ... فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

- الحاكم العلم، ولذا الفساد دخل على المعتقد من غرور العقل، وأما العلم، فله طغيان فيدخل في الإرادات، وفساد العلم يدخل في العُجب والكِبر وتغيير الحقائق من أجل فلان أو عَلاَّن، هذا هو طغيان العلم، لكن المصيبة والمشكلة الأصلية في العقل، وليس في العلم.



ظهور مقالة القدرية والموقف منهم:

- مسلم في أول حديث في صحيحه أسند إلى يحيى بن يعمر قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة (معبد الجهني) قال يحيى: "فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحِميري حاجِّين، أو معتمرين -شك الراوي- قال: قلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عمّا يقول.

- قال: "انطلقنا حاجّين أو معتمرين قلنا لعلنا نلتقي بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فيرشدوننا لما نحن فيه، فوفِّق لنا عبدالله بن عمر، داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، واحداً على اليمين وواحداً على الشمال، من شدة حرصه، فظننت أن صاحبي سيكِل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن، ويتقفَّرون العلم -يجمعون مسائله-، وذكر من شأنهم أنهم يقولون أن الأمر أُنف - لا قدر، الله ما يعلم ماذا سيفعل العبد...".

ظهور مقالة القدرية والموقف منهم:

- قال عبدالله بن عمر: فإذا لقيت أولئك، فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم بُرَآءُ مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أنّ لأحدِهم مثل أحداً ذهبا ما قبل الله منه، حتى يقول بالقدر".
- فهذا الثابت عن عبد الله بن عمر وهذا الثابت عن عبدالله بن عباس -رضوان الله تعالى عليهم-، أنهم قالوا: "قدرية هذه الأمة المجوس".
- قال المصنف: "وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعاً: أنهم مجوس هذه الأمة"، التحقيق العلمي يقتضي أن هذا ليس مرفوعاً للنبي ﷺ، وإنما هو موقوف على عبد الله بن عمر ، وثبت ذلك بهذا اللفظ مع الزيادات: "فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم".
- ورد ذلك مرفوعاً للنبي ﷺ، وورد ذلك موقوفاً، والصواب الوقف لا الرفع، لأن هؤلاء الذين قالوا: لا قدر، ما ظهروا في زمن رسول الله ﷺ كما عند مسلم، ، وإنما هؤلاء ظهروا في زمن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم-، وأول ما ظهروا في البصرة.

ظهور مقالة القدرية والموقف منهم:

- فالحديث: "المجوس قدرية هذه الأمة" ورد عن عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، لكنها كلها معلولة، وأصوبها ما أخرجه أبو داود من طريق عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ، وأبو حازم لم يسمع من عبدالله بن عمر.

- لو قرأنا مثلا ترجمة أبي حازم من التهذيب، لقلنا روى عن عبد الله بن عمر وعن عبد الله بن عمرو، ولم يسمع عنهما، بل قال ولده عبد العزيز ليحيى بن صالح: "من حدَّثك أن أبي سمع من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ غير سهل بن سعد، فقد كذب"، والولد أدرى بأبيه من غيره، فالإسناد رجاله ثقات.

- ولذا الإمام الذهبي في كتابه (الكبائر) في حديث رقم: (236) قال: "رجاله ثقات إلا أنه منقطع "، يعني الأحاديث المرفوعة في: "المجوس قدرية هذه الأمة" لا تصح.



ظهور مقالة القدرية والموقف منهم:

- نعم صحَّ عند الترمذي من حديث عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال: "سيكون في آخر الزمان أقوام يُكذِّبون بالقدر"، هذا ثابت.

- أما: "القدرية مجوس هذه الأمة"، فهذا لم يصح إلا عن الصحابة.

- ثم من المؤاخذات التي تؤخذ على المصنف، وهذا فيه تجوُّز قوله: "وقد روى أهل السنن"، وهذا الحديث لم يرويه إلا أبو داوود.

- ولما قال: "وقد روى أهل السنن" يعني يُشعر بأن الحديث عند الترمذي، وأن الحديث عند النسائي، وأن الحديث عند ابن ماجة، ولم يخرِّجوا ذلك، إنما أخرج هذا الحديث الإمام أبو داوود في (السنن)، نعم أخرجه الحاكم، والبيهقي في (الاعتقاد)، لكن أصحاب السنن ما أخرجوا إلا هذه القطعة.

اجتماع الشرك في الربوبية والألوهية:

- المصنف: "وكثيراً ما يجتمع الشركان"، إذا نظرت إلى فحوى الكلام، فيكون المراد بالشركين هما: شرك الربوبية، والألوهية، وإذا أرجعت الضمير إلى أقرب مذكور، فيكون الشركان المذكوران هنا، شرك المجوس وشرك القدر.
- الصواب: "وقد يجتمع الشركان في العبد" أي: شرك الربوبية وشرك الألوهية، بل كل من عدَّدَ مع الله إلهاً، فهذا فقد الأدنى، والذي فقد الأدنى فقد الأعلى، الذي يفقد توحيد الربوبية فهو يفقد توحيد الألوهية، ولذا سبق معنا في مواطن كثيرة الإلزامات التي تسلل منها المصنف بذكاء، في أن الله جل في علاه، ألزم الكفار بما أنهم اعترفوا بأن الله هو الخالق، وأن الله هو المدبر، وأن الله هو الرازق، ألزمهم بأن يعبدوا الله دون سواه.
- لكن قلنا: أن توحيد الربوبية عند مشركي قريش توحيد ليس بخالص، الله جل في علاه كما قال: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}، فهم اعتقدوا بالخلق، ولم يعتقدوا بالأمر، فكانوا يفعلون الفواحش ويقولون: الله أمرنا بها، كما أخبر الله تعالى عنهم، فهم لم يمتثلوا تمام الامتثال في أن الأمر لله، وإن امتثلوا تمام الامتثال بأن الله جل في علاه هو خالقهم، وهو رازقهم، وهو مدبر أمرهم.

اجتماع الكتب الإلهية على التحذير من الشرك:

- قال: "القرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله"، جميع الكتب المنزلة من عند الله قبل القرآن سواء ما لا نعرف منها أو ما عرفناه من:
  - التوراة.
  - والإنجيل.
  - والزبور.
  - وصحف إبراهيم وموسى.
  - كلها تقرر أن الله حق، قال: "والقرآن الكريم، بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرِّحة بالرد على أهل الإشراك بالربوبية، كلها تقر أن الله جل في علاه واحد".



لطائف في قوله تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}:

- وفي سورة الفاتحة {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، القرآن الكريم معجز، وإعجازه في نَظمه، والله يقول: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، ترتيب الجملة في العربية تبدأ بالفعل، والفاعل، والمفعول أو المعمول، والمفعول به، مرّ رجل على أعرابي شتمه.

- فقال الأعرابي الشاتم: "تريدني في الشتيمة" فقال الشاتم: "إياك أعني"، ما معنى قول الأعرابي "إياك أعني" يعني: لا أريد غيرك، إياك: معمول، الآية ليست نعبد إياك، لو كانت الآية نعبد إياك، فتكون: نعبد إياك ونعبد غيرك، لا يمنع أن نعبد غير الله، لو كانت لا نعبد إياك، لكن قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، تدل على الحصر، والقصر، والاختصاص.

- وأن العبادة بجميع أنواعها القلبية، واللفظية والفعلية، كلها لله -سبحانه-، ويلزم من ذلك البراءة من الشرك في الأفعال والأقوال والإرادات، سيأتي في كلام بديع للمصنف في النصف الثاني من الكتاب وقاربنا عليه، أن الناس بالنسبة لـ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، أربعة أصناف: (منهم من يعبد ولا يستعين، ومنهم من يستعين ولايعبد ،ومنهم من يستعين ويعبد، ومنهم من لا يستعين ولا يعبد)، الموحد شعاره:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، لماذا؟ لأنه من أهل الهداية.



أسباب الهداية في سورة الفاتحة:

- أسباب الهداية في سورة الفاتحة محصورة في خمسة أمور:

- هل كل عابد مهدي؟ هناك عبّاد غير مهديين، وهناك عابد ضال، و عابد مشرك، وما سمعتم قول الله :{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ}، الوجوه خاشعة، والأركان عاملة ناصبة، والمآل: {تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً}، وهذا يفسر لنا الفاتحة.
- يفسر لنا :{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ليس كل من يسّر الله له العبادة مهدياً، بعض الناس عنده هوى في العبادة، بعض الناس عنده عبادة بلا فقه، يعذِّب نفسه ويعذِّب أهله، ويعذِّب من حوله.
- قلنا العبادة طائر جسمها المحبة، له جناحان رجاء وخوف، سنةٌ لا يمكن أن تتخلف لله أبداً، من وُجد عنده محبة، ورجاء، وخوف لابد أن يُحصِّل العبادة، لكن لابد أن توجد المحبة والرجاء والخوف بمقادير، ومعايير معينة.

أسباب الهداية في سورة الفاتحة:

أنتقل بكم إلى صلاح البدن، جاء رجل للنبي ﷺ، فذكر له بطن أخيه، أخوه يشكو بطنه فقال: له النبي ﷺ: "اسقه عسلاً"، فسقاه عسلاً، فما ذهب الداء ، فجاء للنبي ﷺ فشكى بطنه أخيه قال له النبي ﷺ: "اسقه عسلاً "، فسقاه عسلاً، وبقي يشكو بطنه، فجاء المرة الثالثة، فذكر له شكوى أخيه فقال له النبي ﷺ : "اسقه عسلاً"، فسقاه عسلاً، فذهب الداء ، فأخبرَ النبي ﷺ أن الله قد شفاه، فقال النبي ﷺ "صدق الله، وكذب بطن أخيك".

- العلماء يقولون العسل شفاء، لكن العسل له مقدار، فالمقدار الأول ما تحصَّل، المقدار الثاني ما تحصَّل، المرة الثالثة تحصَّل.

- فقال: صدق الله لقوله في (سورة النحل): {فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ}، وكذب بطن أخيك، كذلك المحبة.
- وكذلك الرجاء، وكذلك الخوف، إذا وجدت بالمعايير الشرعية وحصلت، لابد أن تتحقق العبادة يقيناً.



أسباب الهداية في سورة الفاتحة:

- وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ فيما ذكر عن ربه، الحديث الإلهي الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه هو أحسن تفسير لسورة الفاتحة:

- قال: "قال الله تعالى إني قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قرأ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال الله تعالى: حمدني عبدي.
- وإذا قرأ: {الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ}، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي.
- وإذا قرأ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} قال الله تعالى: مجَّدني عبدي".
- هناك حمد، ثناء، تمجيد، ما الفرق بين الحمد، حمدني عبدي، وأثنى علي عبدي؟ أثنى علي عبدي إن كُرر الحمد، أصبح ثناءً، فأثنى علي عبدي هذا المقدار، والتمجيد التوسيع.
- لما تقول: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} مجدني عبدي، وسَّع عبدي علي ملكي، ليس فقط في الدنيا، وهذا يشير إلى أن المحبة والرجاء والخوف لها معيار يُكرر، ولها مقدار لابد أن يكون، فإذا وجدت هذه الأمور حصّل الإنسان العبادة.



أسباب الهداية في سورة الفاتحة:

- الأسباب الخمس للهداية في سورة الفاتحة: هي أسباب العبادة الثلاثة اللتي ذكرناها، ويضاف إليها أمران فإذا وجد هذان الأمران مع أسباب العبادة حصلت الهداية.

- وجُل العبّاد الذين هم ليسوا مهتدين لا يقولون، أو لا يفعلون، أو لا ينتبهون، أو لا يهتمون بـ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.
- أسباب الهداية **خمسة**.
- وأسباب العبادة **الثلاثة**: المحبة والرجاء والخوف.
- والعبادة الخالصة لله، وأن تخرج من حولك وطولك وقوتك، وأن تستعين بالله على العبادة، قال تعالى: **{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**، ما قال نستعين إياك، كما قلنا **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}** نقول أيضا: في **{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**، العبادة الخالصة لله، العبادة التي ليست فيها شرك، لا في الأقوال، ولا في الأفعال، ولا في الإرادات.
- لذا قال بعض أهل العلم: من قرأ **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}** برئ من الرياء، ومن قرأ **{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** برىء من العُجب، ليس لي حول ولا قوة يا رب إلا بك، لا أستطيع يا الله أن أعبدك، إلا بإرادتك.

أسباب الهداية في سورة الفاتحة:

- بعض طلبة العلم يتحمس بالطلب ، ويبدأ يقرأ، ويقرأ وينسى الاستعانة بالله تماما، فالله يتركه لنفسه، ينشط بالطلب يوم يومين، أسبوع أسبوعين، شهر شهرين، ثم يقع، العلة هي:
- {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، طلبة العلم يهتمون بـ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، ويحرصون على التوحيد الصحيح، ولكن لا ينتبه كثير منهم إلى{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.
- فأنت يا ربنا علمتنا، وأنت يا ربنا سخرتنا لأن نتعلم دينك، هذا فضل منك علي، وليس لي فيه شيء، إنما هو خالص منك يا رب.
- إذن أسباب الهداية في سورة الفاتحة هي العبادة، إضافة إلى البراءة من شرك الإرادات والأفعال، والأقوال، وألا يلجأ الإنسان إلى قوته، ولا إلى ذكائه، وإنما يفزع إلى الله.
- لذا بعض طلبة العلم أغبياء، حفظوا من العلم ما جعلهم من العلماء، وبعض الأذكياء من الملحدين، الأمر لله ليس لأحد فيه نصيب، أسأل الله أن يحيينا طلبة علم، وأن يميتنا طلبة علم ، وأن يستخدمنا لنصرة دينه ونشر سنة نبيه ﷺ.



نفي شرك المحبة والألوهية، وشرك الخلق والربوبية:

- {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}: فيها تحقيق لنفي شرك المحبة، ونفي شرك الألوهية، وجعل {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، فيها نفي شرك الخلق وشرك الربوبية:
  - لأن هذا من تدبير الله في حقك، فأنت تستعين به، فِعلك عبادة، أن يستعين العبد بالله هذه عبادة، ولكن لطف الله بك، وتدبيره، وخلقه، وارادته بالنسبة إليك ربوبية، لكن الربوبية مقرونة مع {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}.
  - فقال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} فيه نفي لجميع شرك الألوهية، {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، الاستعانة في حد ذاتها عبادة، ولكن صنيع الله بك وتدبيره في حقك هذه ربوبية، ففيه نفي شرك الربوبية ونفي شرك الخلق، أنا لا أعترف بغيرك، أنا لا أقول إلا بأنك الله، أنت الله لا إله إلا أنت سبحانك أنت الواحد الأحد، الخالق المدبر، لا يوجد سواك، فمن هذا الوجه جعل {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فيه نفي شرك الخلق وشرك الربوبية.

نفي شرك المحبة والألوهية، وشرك الخلق والربوبية:

ما أجمل آثار التوحيد!، وما أجمل أن لا تنسى أنك عبد مخلوق، وأنك ضعيف من كل وجه، وتحتاج إلى الله، لأن الله غني من كل وجه، وأنت فقير من كل وجه، والله الذي تعبده والذي تستعين به غني من كل وجه.

- لذا قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "مِن أَحب ما يُدعى إلى الله أن يقول العبد: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" ، أحب الأدعية إلى الله، فيه تمام الفقر في حق الداعي، وتمام الغناء في حق المدعو، أنا فقير وأنت الرب ، أنت الذي تعينني، أنا لا أستطيع أن أفعل هذا، "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".



الفاتحة تتضمن تجريد التوحيد:

- قال: "تضمنت الفاتحة تجريد التوحيد، وتجريد التوحيد لله، وتجريد التوحيد في الله في أن تكون عبداً لله".

- والمتأمل لسورة الفاتحة يجد عجباً، بعد ذكر الأشياء الخمسة {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، قلنا هذه هي الأسماء الخمسة سميناها الهداية، يأتي بعدها، {اهْدِنَا} باب الهداية، تحصيل حاصل فهي أسباب الهداية، {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.

- انتبه! هناك هداية للصراط، وهداية في الصراط، وأجمل مظهر من مظاهر العبادة وأنت في فراشك، وأنت في خلوتك، تقرأ الفاتحة وتتدبرها، فتذكر وتجرد قلبك بالتوحيد الخالص لله، أحسن أنواع التوحيد تختمها بقولك: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، الهداية في الصراط تشير بدلالة اللازم إلى الإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، وحينئذ يستطيع طالب العلم أن يفهم أن الفاتحة فيها جميع أركان الإيمان ، وجميع أنواع التوحيد.



تضمنت الفاتحة أقسام التوحيد:

- قسَّمنا التوحيد قلنا: (ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات)، أو (توحيد خبر، وتوحيد طلب):
  - وتوحيد الخبر: في الربوبية والأسماء والصفات.
  - توحيد الطلب: توحيد الألوهية.
  - {الْحَمْدُ لِلَّه}: ربوبية.
  - {الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ}: أسماء وصفات.
  - {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}: الإيمان باليوم الآخر.
  - {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}: الألوهية.
- لكن يتضمن نفي الشرك بالربوبية والخلق، أي: وجود خالق لغير الله، {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}.
- الذين أنعمَ الله عليهم: النبيين، وفي دعاء إبراهيم قال: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} هذا مذكور في الفاتحة {أَنْعَمْتَ} أنعمتَ الضمير لله، {الْمَغْضُوبِ}، المقرر في علم العربية أن اسم المفعول يعمل عمل المبني للمجهول، لم يقل الله "غضبت" وإنما قال {أَنْعَمْتَ}.

تضمنت الفاتحة أقسام التوحيد:

- ثم قال: {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}، {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}.
- جاءت تماماً على الوزن، {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}.
- و{أَنْعَمْتَ}: يا الله ما أجمل الخطاب في {أَنْعَمْتَ}: هذه التاء تاء خطاب الموجهة لله هذه تاء لها لذة، ولها انشراح صدر، ولها استقرار الخير في أعماق أعماق القلب.

- **فالفاتحة:** لما كانت الهداية فيها هداية في الطريق، والهداية لا تتحقق إلا من خلال الملائكة والكتب، فصار في الفاتحة التوحيد بأصنافه الثلاثة، والتوحيد بأركانه الستة، بجميع أركان التوحيد: (**الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**).
- هذا كله في سورة الفاتحة، فسورة الفاتحة سورة تجريد التوحيد، لأنها حوت جميع أنواع التوحيد.



تضمنت الفاتحة نفي الشرك:

- قال المصنف: "فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة، وأنه لا يجوز إشراك غيره معه لا في الأفعال، ولا في الألفاظ، ولا في الإرادات".

- وهذا من مصيبة الشرك.
- الشرك ليس فقط يدخل في الإرادات والنوايا.
- ويشمل الإرادات في الشرك الأصغر وهو الرياء.
- والشرك الأكبر كذلك يدخل في الأفعال، ويدخل في الألفاظ.



من شرك الأفعال:

- بدأ بذكر الشرك في الأفعال قال: "كالسجود لغيرالله" استقر الحكم في دين الله الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ:
- أن السجود لا يجوز إلا لله، لا يجوز لأحد أن ينحني لأحد، فضلاً عن أن يسجد له.
- كذلك لا يجوز للعبد أن يركع لآخر، فالركوع والسجود أمران خاصَّان بالتعظيم لله، نعم الله قضى بأن أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، ولكن سجود ليس سجود عبادة، وإنما سجود تعظيم ، ومتى أمر الله الملائكة بأن يسجدوا لآدم؟ بعد أن أخبرنا أنه علَّم آدم الأسماء كلها، فالملائكة بعد أن تعلَّم آدم واشتغل بالعلم، فالله أمر الملائكة أن يسجدوا له.
- وكذلك أخبرنا الله في (سورة يوسف) أن يوسف وإخوانه سجدوا ليعقوب.
- فالسجود كان على نحوين: **تعظيم، وسجود عبادة**، فالله جل في علاه قضى في شرعه أن التعظيم والعبادة أمران لا يكونان في السجود والإنحناء إلا لله، ولذا أهل العلم يقولون: "من سجد لغير الله فقد كفر"، وذكر غير واحد منهم الإجماع على ذلك لذا عند أهل السنة الشرك ليس فقط في القلب، وإنما الشرك يكون في الأفعال.



من شرك الأفعال:

- والشرك يكون أيضا في الأقوال، وأعني بالشرك هنا، الشرك الأكبر المخرج من الملة، قال: "فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره، والطواف بغير البيت المحرم"، اختص الله تعالى الطواف ببيته، فلا يجوز لأحد أن يعظم شيئاً بالطواف حوله إلا بيت الله المحرم -الكعبة المشرفة- ، فالذي يريد قوله المصنف أن الكلام واضح.
- كان يرى السجود للمشايخ، كان المريدين يسجدون للمشايخ، ويطوفون بقبورهم، وما زالوا يفعلون ذلك، رأيت هذا بعيني بالقاهرة، بقبر الحسين ، رأيت شاباً يطوف ويسجد، يطوف ويسجد، فالطواف على وجه التعظيم من شرك الألوهية وهذا عند أهل السنة، أما الشيعة فحدِّث ولا حرج ، يعتقدون أن الطواف سبع أشواط عند الحسين أحسن من سبعين حجة، في كتابهم (الكافي) يقولون: الطواف سبع أشواط بقبر من آل البيت أحسن من سبعين حجة، من اعتقد أن الطواف أحسن من الحج فلماذا يذهب لمكة؟! فتعظيم القبور بالطواف مدخل عظيم من مداخل شرك الألوهية، فيعظِّمون أحجاراً هم بنوها.

من شرك الأفعال:

- الآن ما يُصنع في قبر جعفر الطيار وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ، وضعوا لهم أضرحة، ووضعوا على الأضرحة زجاج وألمنيوم، هذا من أوروبا! نعم هم أصحاب رسول الله ﷺ، وهم آل بيته، وقال الله: {قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ}، حب آل البيت من ديننا، ونعظم أصحاب رسول الله ﷺ، لكن تعظيماً شرعياً لا يخرجنا على أن نشرك بالله.
- قال المصنف: "فالشرك به في الأفعال ،كالسجود لغير الله، والطواف بغير البيت المحرم، وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره"، حلق الرأس له أحكام ، وتعتريه جميع الأحكام، حلق الرأس واجب، وحلق الرأس شرك، وقد يكون شرك أكبر، وحلق الرأس بدعة، وحلق الرأس طاعة، وحلق الرأس مباح، حلق الرأس في الحج والعمرة مثل "السلام عليكم" في الصلاة، الصلاة تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم، فمتى كبّرت يمنع في حقك أن تأكل، وأن تشرب، وأن تتكلم إلا أن تسلِّم ، فالتكبير تحريم، والتسليم تحليل، الحج والعمرة مثل التكبير تقول: لبيك اللهم بعمرة لبيك اللهم بحج.



من شرك الأفعال:

- ومثل التسليم تحلق رأسك أو تقصر شعرك، فالمحرم يحرم عليه شرعاً أن يتمتع بزوجه، إلا بعد أن يحلق رأسه، وقلَّ من الناس من ينتبه لذلك، وكثير منهم غافلون، حلق الرأس عبادة، العبادة تنتهي في الحج أو العمرة عندما تحلق رأسك، حلق الرأس عبادة في الحج أو العمرة، حلق الرأس عبادة من العبادات، وهذه العبادة على وجه الخضوع والذل لا تكون إلا في العمرة.
- هناك حلق رأس فيه بدعة، مثل الذين يذهبون إلى الأقصى قديماً، فلما يزورون الأقصى يحلقون رؤوسهم، يحلقون رؤوسهم تعظيماً لله وعبادة لله، ولكن هذا التعظيم ورد مخالفاً للدليل، وهو بدعة وليس شركاً، لأن الخضوع والإذلال إنما هو لله.
- ولكن كان في غير مكانه، وفي غير محله، الناس قديماً مثل العُصاة إذا أرادوا أن يتوبوا، يذهبون للمشايخ، ويجلسون بخضوع وذل بين أيديهم، والمشايخ يعملون على حلق رؤوسهم ، هذا العمل شرك، أن تجلس ذليلاً بين يدي الشيخ وأن تستسلم لعمله، وأن تكون خانعاً خاضعاً ذليلاً بين يديه، ويحلق رأسك علامة للتوبة، هذه توبة ليست لله، الأصل أن تكون التوبة لله.



من شرك الأفعال:

- قال المصنف –رحمه الله-: "وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره" إذن متى يكون حلق الرأس شركاً؟ إذا كان فيه خضوع وعبودية لغير الله، قلت: ويجمل، وإجماله بأمثلة، إذن ماذا يريد من هذا؟ هو يشكو مما كان يفعل الناس، هكذا كان الناس يتوبون، كانوا يتوبون بين يدي المشايخ، ويخضعون ويجلسون أذلاَّء، فذكر هذا لأنه مناقضاً لتوحيد الألوهية.
- قال: "وتقبيل" أين التقبيل؟ حتى التقبيل فيه شرك؟! التقبيل فيه شرك، لكن ليس أي نوع من التقبيل، تقبيل العبادة، أما تقبيل الرحمة، أو تقبيل الشهوة أن تقبل زوجتك، هذا ليس له علاقة في كلامنا، لا نتكلم عن تقبيل الرحمة، وتقبيل الشهوة وما شابه.
- يقول المصنف: "وتقبيل الأحجار"، تقبيل الأحجار على وجه التعبد، لكن قولك: إذا قبّلت قبر فلان يحصل لي نظر، ورعاية، وتوفيق وبركة، وفيوضات من الخير، ورزق ونصر، كان الناس لما يأتوا التتار كانوا يطوفون بقبر ولي مشهور من الحنابلة وموحد (أبو عمر المقدسي).



من شرك الأفعال:

- لما كان التتار يغزون كانوا الناس يطوفون بقبر أبو عمر المقدسي، يقول: أنا طفت بقبره، وقبلت قبره، وقدست العتبات، تكون عندي فيوضات وبركات، فهذا الاعتقاد وهذا التقبيل فيه تعظيم، قال: "وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود"، يشرع لنا أن نقبل الحجر الأسود، ونقول كما قال عمر: "فلولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبلك ما قبلتك" الحج اتباع، "لتأخذوا عني نسككم".
- لذا نحن في الحج نقبل حجر، ونرمي حجر، حجر نرميه وحجر نقبِّله، ونحن متَّبِعون في جميع الأحوال، فتقبيل الحجر الأسود مشروع، وتقبيل العتبات والسياج، والتراب وبعضهم يسجد على التراب، واعتقاد أن البركات نابعة من هذا السياج، أغلب الأسيجة التي توضع ليست مصنوعة في ديار المسلمين أصلا، البركة تكون في الشرع.



من شرك الأفعال:

- كما أخرج البخاري في صحيحه من حديث عبدالله بن مسعود قال: "كان النبي ﷺ في سفر يحتاج لماء فأتوا للنبي ﷺ بوعاء في قعره ماء قليل، فأخذه النبي ﷺ، ووضع يده في الماء الذي في القعر ، فقال عبدالله بن مسعود: فإذا الماء يفور بين أصابع النبي ﷺ -آية ومعجزة فقال النبي ﷺ بعد أن رأى هذا الماء: حي على الطَّهُور المبارك والبركة من الله"، البركة من الله ليست من رسول الله.
- فمن اعتقد أن البركة من فلان إن قبلتُ حجر قبره، أو سجدت لترابه، فهذا شرك أكبر، ومن اعتقد أن البركة من الله وأجراها على قدر هذا، فهذه بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، فأمر تقبيل الأحجار يدور بين الشرك الأكبر وبين البدعة.

- قال: "وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه تعالى في الأرض"، هذا في الحقيقة حديث ليس بصحيح، أخرجه ابن عدي والخطيب بلفظ: "الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبّله فكأنما صافح الله تعالى"، وهذا الحديث فيه (اسحاق بن بشر الكاهلي) وهو وضّاع كذاب، فهذا الحديث لم يصح عن رسول الله ﷺ، ومثل تقبيل الأحجار تقبيل القبور، واستلامها والسجود لها، فهذه أنواع من شرك الألوهية.

اتخاذ القبور مساجد وحكم الصلاة فيها:

- ثم بدأ بعد ذلك المصنف -رحمه الله تعالى- بالذكر التفصيلي للشرك في الألوهية وبدأ بموضوع القبور، واتخاذ المساجد عليها، أو بناء المساجد على القبور، أو الصلاة إلى القبر، فهذه الحالات الثلاثة شملتها الأحاديث النبوية، التي أوردها المصنف -رحمه الله-.
- عندنا الآن ثلاث حالات:

- **الحالة الأولى:** تذهب لقبر تزعم أنه قبر صالح ، ولو كان كذلك، وتصلي إليه أو تسجد إليه.
- **الحالة الثانية:** القبر موجود فيبنى عليه مسجد.
- **الحالة الثالثة:** المسجد قائم ويدفن الصالح في داخل المسجد.

- هذه الحالات الثلاثة هي المحرمة في شرع الله، والذي وقع خلاف بين العلماء في هل تبطل الصلاة أم لا؟ هذا ما وقع فيه خلاف.



اتخاذ القبور مساجد وحكم الصلاة فيها:

- قال المصنف- رحمه الله- "وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى لله فيها، فكيف من اتخذ القبور أوثانا تعبد من دون الله؟ فهذا لم يعلم معنى قول الله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} .وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال :"لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "، وفيه عنه أيضا "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد ". وفيه أيضا عنه ﷺ" إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك ".
- وفي (مسند أحمد) و(صحيح ابن حبان) عنه ﷺ:"لعن الله زوَّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج "، وقال ﷺ: "اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساج "، وقال ﷺ :"إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله".

اتخاذ القبور مساجد وحكم الصلاة فيها:

- من المقرر عند العلماء أن ليس كل نهي يقتضي الفساد، يعني قد يقع الإنسان في الشرك، أو قد يقع الإنسان في المعصية، ولكن المعصية لا تبطل صلاته، يعني واحد صلى وبيده خاتم ذهب صلاته صحيحة باتفاق، واحد يكذب وجاء يصلي، صلاته صحيحة، وهو كذاب، وهذا كثير، واحد تاجر يغش ويرابي، وزوجة متبرجة وهكذا..، لذا العلماء لما قالوا النهي هل يقتضي الفساد أم لا، يحتاج إلى تفصيل، يفصِّلون.
- ومذاهب العلماء في هل النهي يقتضي الفساد لها أربعة أقوال، واحد توضأ، أو اغتسل غسل جنابة، غسل واجب، أو امرأة اغتسلت من حيض أو نفاس بماء مغصوب، ماء مسروق، هناك أناس يسرقون من الماء، ويتوضأ ويغتسل بماء مسروق، الصلاة صحيحة أم باطلة؟ هذه أقوى ممن صلى وبيده خاتم ذهب ، الأضعف من غصب حطباً، وسخَّن فيه الماء الحلال، واغتسل من ماء حلال وسُخن بحطب مسروق، هذا أضعف من الغسل بالماء المسروق، أو ذبح شاة بسكين مغصوبة، الذبح حلال أم حرام؟، أو صلَّى في بقعة مغصوبة.



اتخاذ القبور مساجد وحكم الصلاة فيها:

- فالنهي يقتضي الفساد أو لا يقتضي الفساد، يحتاج إلى ضابط، واحتار العلماء في هذه المسألة، في بعض جزئياتها، وكانت الحيرة قائمة على تنزيل المثل، أو المسألة المبحوثة على القاعدة المعتمدة عند القائل: هل النهي يقتضي الفساد أم لا، المسألة تحتاج إلى إعمال عقل، إعمال رأي، وافعل ذلك حتى تفهم، الذي يخطر في بالك اعرضه على كلام العلماء، إن وُفقت بما انقدح عندك، فأنت صاحب بصيرة، وصاحب فهم.
- العلماء لهم أربعة مذاهب، أسهلها على الإطلاق مذهب الإمام (أبي حنيفة) -رحمه الله- الإمام أبو حنيفة يُفرق بين الباطل والفاسد، الفاسد يقتضي الفساد، والباطل لا يقتضي الفساد، الباطل: ما لا يُشرع بأصله ولا بوصفه، لا بالأصل ولا بالوصف، لا تنبني عليه الآثار، آثار العقد، الفاسد: ما شُرع بأصله دون وصفه، نأخذ مثل، والمثل يكون ميدان تطبيقي للأقوال الأربعة، كل ما نذكر قاعدة نذكر هذا المثل، وحتى نعلم سبب خلاف العلماء في هذا المثل، وهو مثل مهم.

- وهو: البيع يوم الجمعة، أذن المؤذن والخطيب يخطب، والناس يبيعون وبشترون في السوق، فواحد اشترى شيء فهل البائع كسبه حلال أم حرام؟ وهل المشتري يجوز له أن يستفيد مما اشترى في وقت بيع الجمعة؟ أم ليس له ذلك؟

اتخاذ القبور مساجد وحكم الصلاة فيها:

- نبدأ بمذهب الإمام أبو حنيفة قلنا: يفرق بين الباطل والفاسد، الباطل: ما لا يشرع لا بأصله ولا بوصفه، والفاسد ما شرع بأصله دون وصفه، هل البيع مشروع؟ مشروع في أصله، وبوصفه في بيع يوم الجمعة ليس بمشروع، فعند الإمام أبي حنيفة المال حلال، والسلعة لك أن تستفيد منها، مع أن الإثم حاصل في جميع الصور، نحن لا نتكلم عن الإثم، نتكلم أنه متى يقتضي النهي الفساد، أما هو نهي، ومعنى أنه نهي أن الإثم حاصل.
- **المذهب الثاني:** اختاره المالكية ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وتبعه جم، ومنهم تلميذه ابن القيم، وابن رجب، وجمع، قالوا: النهي يقتضي الفساد إذا كان في حق الله، والنهي لا يقتضي الفساد إذا كان في حق العبد، صلاح الدين العلائي له كتاب (تحقيق المراد في هل النهي يقتضي الفساد)، ناقش تلميذ لابن تيمية، ولم يقبل هذا القول، وقال: "ما من حق للعبد إلا ولله فيه نصيب، وما من حق لله إلا وقد يكون للعبد فيه نصيب"، الزنا حق للعبد أم حق لله؟ فيه حقين، السرقة كذلك، فعكر العلائي على هذا القول بأن الحقوق متداخلة.

اتخاذ القبور مساجد وحكم الصلاة فيها:

- فابن القيم أخذ هذا القول، وناقشه، وفصّله وطوَّل فيه، وكذلك شيخ الإسلام، فقالوا: "نريد حق الله الذي لا يقبل الإبراء ولا المسامحة، وبحق العبد الذي يقبل الإبراء والمسامحة"، فلما نقول حق الله نريد الذي لا يقبل الإبراء والمسامحة، وحق العبد يقبل، واحد سرق من آخر ثوب وستر عورته فيه، صلاته صحيحة ولا باطلة؟

- صحيحة على قول أبي حنيفة ، وعلى هذا القول صحيحة ليست باطلة ، لأن صاحب الحق قد يبرئ، قد أعطيه مال، إذا هو تاب، سارق الثوب إذا تاب وأعطاه المال وطلب منه المسامحة ، فإن قبِل أن يأخذ ثمنه خلاص انتهى، فصار حق عبد ليس حق لله، يقبل الإبراء، لكن لو رجعنا إلى مثل الشراء يوم الجمعة، لا يقبل الإبراء، فعلى هذا القول فالنهي في حق الله، وبالتالي الذي اشترى شيئا في وقت صلاة الجمعة يجب عليه أن يتصدق به، والبائع يحرم عليه أن يستفيد من ثمنه، والواجب عليه أن يتصدق به، لأن البيع والشراء في وقت صلاة الجمعة حق لله.



اتخاذ القبور مساجد وحكم الصلاة فيها:

- **المذهب الثالث:** يُنظر إلى الموطن الذي فيه النهي، فإذا كان النهي في شرط أو ركن اقتضى الفساد، وإذا كان في غير الركن وغير الشرط، فلا يقتضي الفساد، يعني: الرجل سرق ثوباً فستر عورته، اقتضى الفساد، لأن ستر العورة من واجبات الصلاة، ورجل سرق غترة، أو جورب، أو جاكيت، ليست لها صلة لا بواجب ولا بشرط، فهذه الصلاة صحيحة، وعليه من توضأ بماء مغصوب صلاته باطلة، لأنه شرط صحة، أو من اغتسل شرط على هذا القول.

- أما على قول حق الله وحق العبد فيقبل المسامحة فالصلاة صحيحة، الأحكام والفروع تتداخل بناء على القواعد، ولذا موضوع الشراء والبيع في وقت صلاة الجمعة على القول بالواجب والركن فهنا محتمل أيضا بطلان البيع كالقول في حق الله وحق العبد.

اتخاذ القبور مساجد وحكم الصلاة فيها:

- **المذهب الرابع وهو الأخير:** الانفكاك وعدمه، هل الأمر يقبل الانفكاك، أم أن اللزوم تام ولا يقبل الانفكاك؟ هذا أيضا فيه نظر في مسائل متعددة، مثل الصلاة في الأرض المغصوبة، هل يجب على الأرض التي تريد أن تصلي عليها أن تكون ملكك؟ لا، هل يلزم من كل وضوء تتوضأ به أن يكون ملكك؟ لا، الوضوء في المتوضآت العامة والمساجد، الوضوء صحيح أم باطل؟ صحيح، الماء ليس ملكاً لنا، هذا يقبل الانفكاك.

- قالوا من توضأ من ماء مغصوب يقبل الانفكاك ، ومن صلى في أرض مغصوبة يقبل الانفكاك، ومن باع واشترى في وقت الجمعة يقبل الانفكاك، هذا بيع حلال، وهذا وقت تجب فيه صلاة الجمعة، فهذا ينفك عن هذا، فمنهم من قال: بالانفكاك وعدمه، فمن قال: أن الأمر يقبل الانفكاك ،حينئذ فالنهي لا يقتضي الفساد، وإن كان لا يقبل الانفكاك فالنهي يقتضي الفساد، مثل بيع الخنزير، ومثل الربا، بيع الخنزير والربا ليس مشروعاً لا بأصله ولا بوصفه، فهو فاسد عند الحنفية، وكذلك في موضوع الانفكاك وعدمه، فهو فاسد كذلك.



اتخاذ القبور مساجد وحكم الصلاة فيها:

- حكم الصلاة في المسجد الذي فيه قبر، ذكر المصنف الكلام عن المسجد الذي بُني على قبر، أو على المسجد الذي بُني على قبر، أو أُدخل قبر في مسجد، أي: رجل مات ودفن في المسجد، أو صُلِّيَ على قبر، فهل الصلاة تقتضي الفساد أم لا؟ نمسك المذاهب الأربعة :

- **القول الأول:** الصلاة شُرعت بأصلها دون وصفها، فهي صحيحة.
- **القول الثاني:** أن النهي عن الصلاة حق لله، فمن قال بأن النهي إن كان يخص حق الله فهي باطلة
- ماذا قال عن الصلاة في المسجد الذي فيه قبر؟ الصلاة باطلة، أما من قال بالانفكاك وعدمه، قال الصلاة صحيحة، ومن قال بأن النهي إن كان في شرط أو ركن، فيقبل الفساد وما عداه لا يقبل، قال بأن الصلاة صحيحة، ولذا إن تكلمنا في هذه المسألة، فينبغي أن نعلم أن الصلاة في المسجد الذي فيه قبر إنما هي باطلة على قول من قال بأن النهي يقتضي الفساد إذا كان في حق الله دون غيره، فالمسألة قائمة على هذه الأمور الأربعة، والذي ينشرح له الصدر، والذي نرجحه أن النهي إن كان في حق الله يقتضي الفساد، وإن كان في حق غيره لم يقتض الفساد.